الأحد 21/10/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة الأربعون النووية

ازهد في الدنيا يحبك الله

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عن أبي العبَّاسِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ الساعديِّ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: **جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِيَ اللهُ وأَحبَّنِيَ النَّاسُ. فَقَالَ:** ((**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**))، [حديثٌ حَسَنٌ رواهُ ابنُ ماجَه وغيرُهُ بأسانيدَ حَسنةٍ].

هذا الحديث أيها الإخوة قال عنه أحد العلماء: إنه واحد من أحاديث أربعة عليها مدار الإسلام.

قبل أن أدخل في شرح معنى هاتين الجملتين أريد أن أنبه إلى أمر أن رجلاً جاء إلى رسول الله فسأله هذا السؤال معنى ذلك أن هذا الرجل في عقله الباطن هَمٌّ ومسألة وأمر يقلقه، فلعل الواحد بيننا إذا لم تكن أسنانه تؤلمه لا يهتم أن يُدل على طبيب أسنان لكن إذا كان ضرسه يؤلمه وطيلة الليل لم ينم فيصير إذا لقي أي إنسان يسأله عن طبيب أسنان لأن الهم أقلقه، فهذا الرجل في هم يقلقه، كيف يحبني رب العالمين؟ هناك وجع يتحرك في داخله وقلق يمر في داخله.

لذلك يا أيها الإخوة إذا أردت أن تعرف مقامك عند الله فانظر فيما أقامك رب العالمين وفيما أشغلك، ما الأمر الذي يغلب على فكرك وعلى همك وعلى وجودك وكيانك.

بعض الناس أكبر هَمٍّ عنده هو شراء حذاء لقدمه من ماركة معينة فهو من شهر قلق لشراء هذا الحذاء فهمه ما هو في قدمه.

هناك إنسان همه كيف سآكل وأشرب فينام ويستيقظ وهذا ما يشغله.

إنسان همه كيف يحصل على الزوجة الحلال ليستقيم.

وهناك من كان همه أن يجد عملاً، وإنسان همه أن يفوز فريقه في كرة القدم...

وهناك إنسان همه أن يحبه رب العالمين ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، [آل عمران: 163] وبالطبع الشيء الذي يهمك هو الذي يغلب عليك في يقظتك وفي منامك، في حياتك وفي مماتك وبمقدار ما يكون الهم الذي عندك تكون همتك فإن كان همك عالياً كانت همتك عالية.

إذا كان إنسان يريد خطبة فتاة وهي من أسرة فقيرة جداً وتكاد تكون معدمة فهذا يتوقع المهر الذي سيطلبونه مثلاً مائة ألف، أما لو أن إنساناً سيذهب لخطبة ابنة إنسان مسؤول كبير وغني كثيراً فهذا عليه أن يتوقع أنهم سيطلبون مهراً عدد من الملايين.

الهم الذي يقلقك ويدور في داخلك يرفع إمكانياتك ويرفع الإمكانيات التي تحملها أنت ولذلك قالوا:

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

لذلك يا أيها الإخوة ويا أيتها الأخوات لنجتهد أن يكون همنا عالياً حتى ترتفع إمكانياتنا.

هناك إنسان همه أن ينشر دين الله عز وجل في البلاد كلها، وهناك شاب له هم أن يكون خادم لدين الله وأن يجري الله خدمة هذا الدين على يديه في مشرق الدنيا ومغربها، وهناك إنسان همه أن يكون مرافقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة.

مرة أحد الشيوخ كبير في السن كان يجلس مع شباب وفتيان فصار يسأل كل واحد منهم ماذا تريد أن تكون عندما تكون كبيراً؟ فقال أحدهم: أنا أريد أن أصير إماماً، والثاني خطيب، مهندس، طبيب، داعي، وسأل أحدهم فقال: أنا أريد أن أصير أحسن منك.

فالذي عنده هم كبير يكون عنده إمكانيات وهمة عالية وصاحب الهمة الصغير، تكون إمكانياته صغيرة وهمته دنية.

أقول لك طعامك وشرابك مكفول كَنَفَسِكَ ودقات قلبك فلا أحد يحمل هم دقات القلب أو يخاف أن يفقد الأكسجين من الهواء.

فكل عمليات جسمك مكفولة وكذلك رزقك مكفول فلا تجعل كل حياتك لأجل ما تضعه في بطنك ثم يكون حيث تعلم.

قال ابن عطاء الله السكندري: (**انشغالك فيما ضُمِنَ لك وانصرافك عما طُلِبَ منك دليل على انطماسٍ في بصيرتك**).

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾، [الذاريات: 22-23] يعرف الله أن بني آدم شحيح ويخاف على طعامه وشرابه فحلف له برب السماء والأرض بأنه حق مثلما أنك تنطق.

أحد الأعراب سمع هذه الآية فقال: من ألجأ الجليل إلى أن يحلف يميناً؟!

الله طلب منك أن تنضبط بأوامره، أن تلتزم بالفرائض، أن تبر والديك، أن ترعى زوجتك وأولادك، أن تقدم الخير للناس، أن تساعد الآخرين، أن تفعل الخيرات والحسنات، أن تترك المحرمات...

لذلك يا إخواننا مطلوب مني أن أعمل وأن أجتهد وأن أبذل لكن من غير المعقول أن أجعل حياتي كلها، أعصابي كلها، عقلي الباطن كله، تفكيري كله، أني ماذا سأشرب وآكل مع أولادي في المساء وأخاف أن يذهب المال في هذه الأزمة فماذا سآكل؟

قيل لبعض الصالحين: غلا القمح، قال: والله ما يقلقني أن تصير حبة القمح بدينار، لأن الله خلقني وتكفل برزقي وأمرني بإطاعته.

مطلوب منك أن تبذل وتعمل ما استطعت لكن لا تجعل عقلك الباطن يذهب كيف آكل، وكيف أشرب، وكيف أنجب، وكيف سأوسع البيت، اجعل لنفسك وفكر كيف تصنع مشروع خيري تخدم به عباد الله تقرباً إلى الله، فكر كيف تدخل السرور على عباد الله تعالى، فكر كيف توصل الخير إلى الناس وكيف تزداد حباً لله تعالى وقرباً إلى الله هذا الهم الذي كان يقلق هذا الصحابي.

((ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ)).

نحن مطلوب إلينا أن نعمل في هذه الدنيا لكن المطلوب في مسألة الزهد أن تجعل الدنيا بيديك وأن لا تجعلها في قلبك فمطلوب منك أن يكون عندك بيت وأن تعمل ليصير عندك بيت لكن اجعل البيت في يدك لا تجعله في قلبك بحيث إذا حدث حادث وأصيب البيت بمصيبة سقطت أرضاً طريح الفراش فالبيت الله أكرمك باقتنائه وسيكرمك بغيره طبعاً هذه تربية حتى تجعل قلبك خالياً لله وحده.

القلب بيت الرب فلا تجعل فيه غيره.

هذا الكأس إذا كان مليئاً بالماء فلا يخطر لأحدكم أن يصب فوقه عصير لأنه مليء، لكن إذا كان فارغاً من الممكن أن يخطر بخاطر أحدكم أن يضع فيه عصيراً أو عطراً، فاملأ قلبك بحب الله تعالى حتى لا يُملأ بشيء غير رب العالمين وما شئت من أعمال الدنيا اجتهد بها لكن أبقها في

يديك أم قلبك فلله عز وجل؛ لذلك همك هو رب العالمين ورضاه وهل يوافق رب العالمين على ما أفعل أو لا يوافق؟

لذلك وأنت تحصل على البيت مثلاً ربما يأتيك شخص يعطيك مبلغ بالحرام لكن قلبك مع ربك يقول لك: هذا المبلغ غلط فترميه أرضاً، ربما وأنت تحصل على هذا البيت يأتيك شخص ليعلمك كيف تعتدي على الآخرين فتأخذ منهم حصصهم في المنزل.

أحياناً مجموعة إخوة يرثون عقاراً من أمهم أو أبيهم إرثاً فبطريقة ما يتحايل الشباب على البنات فيخرجوهم من البيت فهؤلاء على الإطلاق غير زاهدين في الدنيا لأنهم باعوا دينهم ليحصلوا على الحصة الإرثية لأخته.

أُخبرت عن عائلة ثرية ورث الشباب أرقاماً عالية وأختهم البنت أرادوا أن يخرجوها من المنزل فضحكوا عليها بسعر وهمي للبيت وجاؤوا بزبون عميل معهم ليعطوها حصة بسيطة ويصرفونها فهؤلاء لا يعلمون شيئاً عن هذا الحديث، باعوا دينهم وباعوا أختهم لأجل أن يحصلوا على شيء من الدنيا.

أنتم تعلمون الآن –نسأل الله العافية– أناس يكونون في بيوتهم وإذا بالبيت سقط أرضاً.

أحد الأشخاص اشترى بيتاً وكساه كسوة من أجمل أنواع الكسوة وفي اليوم الذي انتهى فيه الإكساء مات الرجل وما دخل بيته.

رجل سوري مقيم خارج البلد –القصة قديمة– له مدير أعمال في البلد فكان يرسل أموالاً لمدير أعماله وسأل مدير أعماله: ماذا سنفعل في المال؟ فقال: في منطقة يعفور مستقبل جيد ويأتيها الأغنياء والتجار فلو اشتريت مزرعة وجعلت فيلا، فقال له: ابدأ فبدأ فاشترى الأرض وبدأ العمار فالرجل يرسل له المال، ومدير الأعمال يرسل له الصور ولما انتهت الفيلا قرر الرجل أن يعود للبلد فاستقبله أولاده وأحفاده، فقال: خذوني إلى يعفور، حول الفيلا يوجد سور حجري وعلى السور الحجري بوابة وفوق البوابة وضع المهندس له لوحة مكتوب فيها (الملك لله) فلما وصل نزل من السيارة فلما قرأ اللوحة سأل عنها فقالوا: لوحة فنية وفعلاً (الملك لله)، فقال: هذه المزرعة ملكي أنا وأمر بإنزالها فحلفوا بالله في اللحظة التي قال فيها أنزلوها سقط أرضاً، فوضعوه في السيارة وذهبوا به إلى مشفى الشامي وبعد الفحص تبين لهم بأنه أصيب بشلل رباعي غير ردود، ذهب الطبيب للأسرة وقد علم بالموضوع وقال لهم: أبوكم نَازَعَ المِلِكَ في مملكته فإذا أردتم الشفاء لأبيكم فاذهبوا واسترضوا ملك الملوك ببر الفقراء تقرباً إلى الله، فبدؤوا بالصدقات وأعمال الخير

لكن يبدو أن الأب ما زال في قلبه أن هذا ملكي أنا وكلما تحسن بشيء أُخذ بالسيارة إلى يعفور وعند باب المزرعة ينتكس، أُخذ ثلاث مرات ثم مات ولم يدخل المزرعة لمن الملك؟ لله.

أحياناً إنسان لأجل خمسين ليرة يخسر جاراً من جواره.

قال العلماء: الزهد ليس زهد الفاقدين بل الزاهد من كانت الدنيا معه ثم هو لا يؤلمه قلبه لأجلها.

فالدنيا معه ثم إذا قيل له: نريد منك أن تساند فلان في الزكاة، فيقول: حاضر، وأن تساند آخر في الصدقات، فيقول لك: حاضر، أن تساند أقواماً بالبر وفعل الخير، فيقول لك، حاضر.

مرة جاءني أحد الناس عنده مال يريد أن يحسب الزكاة فأتى بالدفتر وقال: هذه اشتريتها وهذه... وهذه ممكن أن تحذفها فكلما مرت مادتين أو ثلاثة يريد أن يحذف المادة التي تليها.

شاب كتب كتابه على بنت وعمله جيد لكن بهذه الأزمة صار عنده عسر وبيته في ريف دمشق والوصول إليه عسير فأتتني البنت مع أهلها يريدون أن يتطلقوا بسبب ظرف عمله وموقع بيته فقلت لها: هذا الآن زوجك فهل يعقل أن تستغني عن هذا الزوج بسبب ضيق المال في يده؟!!

أحياناً امرأة تحزن مع زوجها فعندما نسعى للصلح تقبل لكن بشرط أن يكتب نصف البيت باسمها، وأنا أقول الآن لكل رجل يريد الصلح وزوجته تطلب نصف البيت أن لا يرضى فبأي حق تأخذ نصف البيت وقد أخذت مهرها ولم يكن منه نصف البيت؟

هناك بعض الأسر —وسامحوني– هي من تدرب ابنتها على هذه الطريقة فتقول لها: بعد أن يتعلق بك اصنعي مشاجرة ليأتيك ونأخذ ما نريد منه.

قال بعض العلماء: **الزهد نوعان:**

1- **زهد مفروض** : وهو أن تزهد في الحرام.

عندما ترى أبواباً كسرت من صوت الانفجار في منطقة متضررة والأسر خارج بيوتها فبعض الشباب يخطر في قلبهم أن يدخلوا للبيت ويأخذوا ما يشاؤون ويمضون فهنا يجب عليك شرعاً أن تمتنع عن الحرام.

شاب أبواب سيارته خلعت فيأتي الجوار فيحملون هذه السيارة ويأخذونها للإصلاح فعندما يرجع يرى سيارته كاملة فيقول له أحد الجوار: هل نقص شيء من السيارة؟ قال: لا، قال: لكن هذه 25 ليرة وجدناها في داخلها ربما سقطت منك.

وبالمقابل أحدهم يقول كُسرت السيارة والرجل مسافر وبعيد فخذها أنت أحسن من أن يأخذها غيرك فأي دين ربى هذا الإنسان الذي يعتدي على الناس في إضرارهم وزيادة إضرارهم؟

اعمل بيديك ما استطعت لكن لا تجعل هذه الدنيا في قلبك.

2- الزهد المندوب هو زهد فيه إخراج المباحات من القلب.

أي الطعام والشراب مباح بالنسبة لك فأخرجه من قلبك واعمل بيدك.

الحقيقة أن أكثر خصومات الناس من الأمور المادية التي بينهم؛ لذلك بعض الناس عنده قاعدة تقول: إياك أن تعمل مع إنسان صديق أو قريب بمصلحة مادية وإلا ستخسره عامل الغريب ولا تعامل القريب وسبب ذلك هو التعطش لأخذ الحق وربما فيه زيادة عن الحق، بينما الناس الذين يربيهم الشرع ويربيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حياته مبنية على المسامحة حتى مع الآخرين.

بعض الأشخاص يريد من زوجته كل حقوقه وغير مستعد أن يعطيها ولا واجب عليه، يا أخي لماذا لا تعتني بي، وبطعامي، وشرابي، وشكلي، وبالأولاد فهي تقدم ما عليها، فلم لا تقدم ما عليك؟

أحياناً جوار في عمارة يحصل بينهما مشروع مالي لإصلاح البناء ويكون على كل إنسان مثلاً 7323 ليرة فيقول لك: أين الليرتين أريد الليرتين قبل بقية المال.

((وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ)).

نسأل الل عز وجل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الفاتحة.